



لا للعداوات

تجد أن الناس عند التعامل معهم لهم طبائع.. منهم الغضوب ومنهم البارد.. ومنهم الذكي ومنهم الغبي.. والمتعلم والجاهل.. ومنهم حسن الظن وسيئ الظن.. و...

من عامل الناس لاقى منهم نصيباً **فإن سؤسهم بغى وطغيان**

فالظالم يغفل عن ظلمه ويرى أنه أعدل الناس.. والغبي يرى أنه أذكى الناس.. والأخرق السفیه.. يرى أنه حكيم زمانه!!

أذكر لما كنت شاباً وأظنني لا أزال كذلك- أعني لما كنت في أوائل الدراسة الثانوية.. أقبل علينا ضيف ثقيل.. لا أدري هل أكمل دراسته الابتدائية أم لا؟ لكن الذي أجزم به أنه يقرأ ويكتب.. وكنت مشغولاً وقت دخوله بمسألة شرعية لم أجد لها جواباً..

وضعت له ما يوضع للضيف من قرى.. ثم تناولت الهاتف وجعلت أكرر الاتصال بالشيخ الإمام (عبدالعزیز بن باز)-رحمه الله- لسؤاله عنها..

لم أجد الشيخ.. رأني صاحبي منشغلاً إلى هذا الحد..

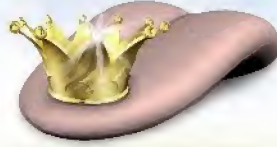
◀ فسألني: بمن تتصل..

◀ قلت: بالشيخ ابن باز.. عندي استفتاء مهم..

◀ فبادرني قائلاً بكل ثقة: سبحان الله.. ابن باز.. وأنا موجود!!

تجد من الناس كثيرين كذلك.. فتحمل ثقلهم.. وعاملهم بلطف..
واكسبهم.. حاول بقدر استطاعتك أن لا تكسب عداوات.. فلم تبعث عليهم
وكيلاً.. أنقذ ما يمكن إنقاذه.. ولا تعذب نفسك..





اللسان ملك

تأملت فيما يحدثُ التباغضَ والشقاق بين الناس.. ويجعل بعضهم أثقل من الجبل على الآخرين.. فلا يحبون رؤيته ولا مجالسته.. ولا السفر معه.. ولا حضور وليمة هو مدعو إليها..

وجدت أن أكثر ما يوصل الشخص إلى هذا المستوى البغيض هو اللسان.. فكم من خصومات وقعت بين إخوان.. وأزواج.. و... بسبب مسبة أو غيبة أو شتم..

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده **فلم يبق إلا صورة اللحم والدم**

نحن نستطيع أن نوصل أفكارنا للآخرين بأساليب حسنة.. فلماذا نلجأ للأساليب القبيحة؟!

ذكر أن ملكاً معظماً رأى في منامه أن أسنانه تساقطت.. فاستدعى أحد المعبرين.. وقصص عليه الرؤيا وسأله عن تعبيرها؟ فتغير المعبر لما سمعها.. وجعل يردد: أعوذ بالله.. أعوذ بالله..

◀ فزع الملك وقال: ما تعبير رؤياي؟!

◀ فقال المعبر: تمضي عليك السنين.. ويموت أولادك وأهلك جميعاً.. وتبقى في ملكك وحدك..



فصاح الملك.. وغضب.. وسب ولعن.. وأمر بالمعبر أن يسحب ويجلد..

ثم دعا بمُعَبَّرٍ آخر.. وقصَّ عليه الرؤيا.. وسأله عن تعبيرها.. فابتهج ذاك المعبر.. وتبسّم.. وأظهر البشاشة..

◀ وقال: أبشر.. خير.. أيها الملك..

◀ قال الملك: ما تعبير الرؤيا؟

◀ قال المُعَبَّر: هذا معناه أنك سيطول عمرك جداً.. حتى تكون آخر أهلِكَ موتاً.. وتبقى طول عمرك ملكاً..



فاستبشر الملك وأمر له بالأعطيات.. وبقي راضياً عليه.. ساخطاً على الآخر!! مع أنك لو تأملت لوجدت أن التعبيرين متماثلان متطابقان.. لكن الأول عبر بأسلوب والآخر عبر بأسلوب آخر.. نعم.. اللسان سيد من السادات..

وفي الحديث.. قال ﷺ: إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان.. فتقول: اتق الله فينا.. فإنما نحن بك.. فإن استقمتم استقمنا.. وإن اعوججت اعوججنا..^(١)

نعم.. والله إنه لسيد.. سيد في خطبة الجمعة.. وسيد في الإصلاح بين الناس.. وسيد في التسويق.. وسيد في المحاماة.. ولا يعني هذا أنه إذا فقد الإنسان.. انتهت حياته.. كلا بل صاحب الهمّة يبقى بطلاً مهما فقد من قدرات..

لم يكن (أبو عبد الله) يختلف كثيراً عن بقية أصدقائي.. لكنه -والله يشهد- من أحرصهم على الخير.. له عدة نشاطات دعوية من أبرزها ما يقوم به أثناء عمله.. فهو يعمل مُترجماً في معهد الصُم والبُكم.. اتصل بي يوماً وقال:

◀ ما رأيك أن أحضر إلى مسجدك اثنين من منسوبي معهد الصُم لإلقاء كلمة على المصلين..

◀ تعجبت!! وقلت: صُم يلقون كلمة على ناطقين؟

◀ قال: نعم.. وليكن مجيئنا يوم الأحد..

(١) رواه أحمد وأحمد والترمذي وهو حسن.

انتظرت يوم الأحد بفارغ الصبر.. وجاء الموعد.. وقفت عند باب المسجد انتظر..
فإذا بـ (أبي عبدالله) يقبل بسيارته.. وقف قريباً من الباب.. نزل ومعه رجلان..
أحدهما كان يمشي بجانبه.. والثاني قد أمسكه (أبو عبدالله) يقوده بيده..
نظرت إلى الأول فإذا هو أصم أبكم.. لا يسمع ولا يتكلم.. لكنه يرى.. والثاني
أصم.. أبكم.. أعمى.. لا يسمع ولا يتكلم ولا يرى..

مددت يدي وصافحت (أبا عبدالله).. كان الذي عن يمينه -وعلمت بعدها أن
اسمه (أحمد)- ينظر إليّ مبتسماً.. فمددت يدي إليه مصافحاً.. فقال لي (أبو عبدالله)
-وأشار إلى الأعمى:- سلم أيضاً على (فايز).. قلت: السلام عليكم.. (فايز)..
فقال (أبو عبدالله): أمسك يده.. هو لا يسمعك ولا يراك.. جعلت يدي في يده..
فشدني وهز يدي..

دخل الجميع المسجد.. وبعد الصلاة جلس (أبو عبدالله) على الكرسي وعن
يمينه (أحمد).. وعن يساره (فايز).. كان الناس ينظرون مندهشين.. لم يتعودوا
أن يجلس على كرسي المحاضرات أصم..



التفت (أبو عبدالله) إلى (أحمد) وأشار إليه.. فبدأ
(أحمد) يشير بيديه.. والناس ينظرون.. ثم يفهموا
شيئاً.. فأشرت إلى (أبي عبدالله).. لترجم لنا.. فأشارت
(أحمد) لا يفهمها إلا الصم.. أو من كان متعلماً للغة
الصم فاقترب إلى مكبر الصوت وقال:

(أحمد) يحكي لكم قصة هدايته.. ويقول لكم.. ولدت أصم.. ونشأت في جدة..
وكان أهلي يهملوني.. لا يلتفتون إليّ.. كنت أرى الناس يذهبون إلى المسجد..
ولا أدري لماذا! أرى أبي أحياناً يفرش سجاده ويركع ويسجد.. ولا أدري ماذا
يفعل.. وإذا سألت أهلي عن شيء.. احتقروني ولم يجيبوني..

ثم سكت (أبو عبدالله) والتفت إلى (أحمد) وأشار له.. فواصل (أحمد) حديثه
وأخذ يشير بيديه.. ثم تغير وجهه.. وكأنه تأثر..

خفض (أبو عبدالله) رأسه.. ثم بكى (أحمد).. وأجهش بالبكاء.. تأثر كثير من الناس.. لا يدرون لماذا يبكي.. واصل حديثه وإشارات بتأثر.. ثم توقف..

فقال (أبو عبدالله): أحمد يحكي لكم الآن فترة التحول في حياته.. وكيف أنه عرف الله والصلاة بسبب شخص في الشارع عطف عليه وعلمه.. وكيف أنه لما بدأ يصلي شعر بقدر قربيه من الله.. وتخيل الأجر العظيم لبلائه.. وكيف أنه ذاق حلاوة الإيمان..

ومضى (أبو عبدالله) يحكي لنا بقية قصة (أحمد)..

كان أكثر الناس مشدوداً متأثراً.. لكنني كنت منشغلاً!! انظر إلى (أحمد) تارة.. وإلى (فايز) تارة أخرى.. واقول في نفسي.. ها هو (أحمد) يرى ويعرف لغة الإشارة.. وأبو عبدالله يتفاهم معه بالإشارة.. ترى كيف سيتفاهم مع فايز.. وهو لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم..!!

انتهى (أحمد) من كلمته.. ومضى يمسح بقايا دموعه.. التفت (أبو عبدالله) إلى (فايز)..

قلت في نفسي: هه؟ ماذا سيفعل؟!!

ضرب (أبو عبدالله) بأصابعه على ركبتي (فايز).. فانطلق (فايز) كالسهم.. وألقى كلمة مؤثرة.. تدري كيف ألقاها؟

بالكلام؟ كلا.. فهو أبكم.. لا يتكلم..

بالإشارة؟ كلا.. فهو أعمى.. لم يتعلم لغة الإشارة..

ألقى الكلمة بـ(اللمس).. نعم باللمس..



يجعل (أبو عبدالله) (المترجم) يده بين يدي (فايز).. فيلمسه (فايز) لمسات معينة.. يفهم منها المترجم مراده.. ثم يمضي يحكي لنا ما فهمه من (فايز)..

وقد يستغرق ذلك ربع ساعة.. و(فايز) ساكن هادئ لا يدري هل انتهى المترجم أم لا.. لأنه لا يسمع ولا يرى.. فإذا انتهى المترجم من كلامه.. ضرب ركلة (فايز).. فيمد (فايز) يديه.. فيضع المترجم يده بين يديه.. ثم يلمسه (فايز) لمسات أخرى..

ظل الناس يتنقلون بأعينهم بين (فايز) والمترجم.. بين عجب تارة.. وإعجاب أخرى.. وجعل (فايز) يحث الناس على التوبة.. كان أحياناً يمسك أذنيه.. وأحياناً لسانه.. وأحياناً يضع كفيه على عينيه.. ثم نفهم ما يريد حتى ترجم لنا (أبو عبدالله).. فإذا هو يأمر الناس بحفظ الاسماء والأبصار عن الحرام..

كنت أنظر إلى الناس.. فأرى بعضهم يتمتم: سبحان الله.. وبعضهم يهمس إلى الذي بجانبه.. وبعضهم يتابع بشغف.. وبعضهم يبكي.. أما أنا فقد ذهبت بعيداً.. أخذت أقارن بين قدراته وقدراتهم.. ثم أقارن بين خدمته للدين وخدمتهم..



الهمّ الذي يحمله رجل أعمى أصم أبكم..
لعله يعدل الهم الذي يحمله هؤلاء جميعاً..
والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن
أمر عن رجل محدود القدرات.. لكنه يحترق في
سبيل خدمة الدين.. يشعر أنه جندي من جنود
الإسلام.. مسؤول عن كل عاص ومقصر.. كان
يحرك يديه بحرقة.. وكأنه يقول:

يا تارك الصلاة إلى متى..؟ يا مطلق البصر في الحرام إلى متى..؟ يا واقعاً في
الفواحش؟ يا أكلاً للحرام؟ بل يا واقعاً في الشرك؟ كلكم إلى متى؟! أما يكفي
حرب الأعداء لديننا.. فتحاربونه أنتم أيضاً!!

كان المسكين يتلون وجهه ويعتصر ليستطيع إخراج ما في صدره.. تأثر
الناس كثيراً.. لم ألتفت إليهم.. لكنني سمعت بكاء وتسبيحات..
انتهى (فايز) من كلمته.. وقام.. يمسك (أبو عبدالله) بيده..

تراحم الناس عليه يسلمون.. كنت أراه يسلم على الناس.. وأحس أنه يشعر
أن الناس عنده سواسية.. يُسلم على الجميع.. لا يفرق بين ملك ومملوك..
ورئيس ومرؤوس.. وأمير ومأمور.. يسلم عليه الأغنياء والفقراء.. والعامة
والوجهاء.. والجميع عنده سواء..

كنت أقول في نفسي ليت بعض النفعيين مثلك يا (فايز)..

أخذ (أبو عبدالله) بيد (فايز).. ومضى به خارجاً من المسجد.. أخذت أمشي
بجانبيهما.. وهما متوجهان للسيارة.. والمترجم و(فايز) يتمازحان في سعادة غامرة..
آآه ما أحقر الدنيا.. كم من أحد لم يُصب بربع مصابك يا (فايز) ولم يستطع
أن ينتصر على الضيق والحزن..

أين أصحاب الأمراض المزمنة.. فشل كلوي.. شلل.. جلطات.. سكري.. إعاقات..
لماذا لا يستمتعون بحياتهم.. ويتكيفون مع واقعهم.. ما أجمل أن يبتلي الله عبده
ثم ينظر إلى قلبه فيراه شاكراً راضياً محتسباً..

مرت الأيام.. ولا تزال صورة (فايز) مرسومة أمام ناظري.. فإذا كان (فايز)
نجح في حياته.. وكسب محبة الناس.. وهو أعمى أبكم أصم.. فما بالك بمن
أعطاه الله لساناً ناطقاً.. وبصراً نافذاً.. وسمعاً واعياً؟!

فاستعمل لسانك في كسب الناس.. والتحبب إليهم..

حقيقة..



الإنسان لا همه يركل..
ولا جلده يلمس..

فماذا فيه غير جلالة اللسان!!



اضبط لسانك

إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه..

هكذا حذر النبي ﷺ الناس من إطلاق الكلام على عواهنه.. دون النظر في العواقب.. عدم ضبط اللسان قد يؤدي إلى المهالك..

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغ نك إنه شعبان
كمر في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاء الشجعان

كم من امرأة طلقها زوجها بسبب اللسان.. يختلف معها.. فتردد قائلة له: طلقني.. أتحدأك تطلقني.. إن كنت رجلاً طلقني!! فيأمرها بالسكوت.. يصرخ بها.. ينهرها.. يشتد الأمر بينهما.. فينهدم البناء.. ويطلقها..

لذا أمر ﷺ الشخص إذا غضب أن يسكت.. نعم يسكت.. لأنه إن لم يضبط لسانه.. أوداه في المهالك..

يموت الفتى من زلة بلسانه وليس يموت المرء من زلة الرجل

أذكر أنني دخلت قبل فترة في مشكلة بين عائلتين للإصلاح بينهما.. وقصة الخلاف:

أن رجلاً عاقلاً كبيراً في السن أظنه قد تجاوز الستين من عمره.. خرج في نزهة صيد مع مجموعة من أصدقائه.. وسنهم جميعاً متقاربة.. دارت بينهم

الأحاديث وذكريات الصبا.. ثم تكلموا عن أراض لأجدادهم بالقيرية.. فثار خلاف بين اثنين منهم حول أحد الأراضى يمكنها أحدهما وادعى الآخر أنها لجده!!

اشتد بينهما النقاش حتى قال مالك الأرض لصاحبه: **والله لئن رأيتك قريباً من أرضي لأفرغن هذه في رأسك..** ثم تناول بندقية الصيد التي بجانبه وجهها أعلى من رأس صاحبه بمترين أو ثلاثة ثم أطلق منها رصاصة.. ثار الرجلان وكادا أن يقتتلا.. لكن أصحابهما هدؤوهما.. وتفرقا إلى بيوتهم..

لم يستطع الرجل الذي أطلق عليه الرصاص أن ينام من شدة الغيظ.. طلع عليه الصبح إلا وقد أجمع أن يشفي غيظه من صاحبه.. فحمل سلاحاً من نوع (كلاشينكوف) ومضى يبحث عن صاحبه.. حتى رآه في سيارته عند مدرسة بنات..

كان صاحبه متقاعداً من وظيفته ويعمل سائقاً لسيارة خاصة لنقل المدرسات.. وقد أوقف سيارته عند باب المدرسة وجلس داخلها ينتظر خروجهن.. وبجانبه مجموعة من السيارات تشبه سيارته كلها مخصصة لنقل المدرسات أو الطالبات..

اختبأ الرجل خلف شجرة بعيدة لئلا ينتبه إليه.. وكان ضعيف البصر.. ووجهه سلاحه إلى السائق الذي بدأ من ملامحه أنه صاحبه.. وحاول جاهداً أن يسد الطلقة إلى رأسه.. ثم ضغط على الزناد.. ودوى صوت الرصاص وانطلقت ثلاث رصاصات واستقرت في رأس السائق..

ثار الناس واضطربوا.. وفزع الطالبات.. وارتفع الصراخ.. واجتمع رجال الشرطة.. وأحاطوا بالمنطقة.. والرجل قد هشمت الطلقات جمجمته.. ومات..

أما القاتل فقد توجه بكل هدوء إلى مخفر الشرطة وأخبرهم بالقصة.. وقال: أنا قتل فلاناً.. والآن قد شفيت صدري فاقتلوني أو أحرقوني أو اسجنوني.. افعلوا ما شئتم..

أدخلوه إلى غرفة التوقيف.. وخرج الضابط لمعاينة مكان الحادث.. فلما اطلع على بطاقة المقتول فإذا المفاجأة الكبرى!!

إذا بالقتيل ليس هو صاحبه الذي أراد أن يشفي صدره منه وإنما هو شخص آخر ليس له دخل بالقضية..

فأقبل الضابط يمشي بسرعة، والرجل المسن المقصود بالقتل يمشي بجانبه.. حتى أدخله مخفر الشرطة وأوقفه أمام الزنزانة.. وقال: **يا فلان! أتدعي أنك قتلت هذا؟ الرصاص أصاب شخصاً آخر!!**

فصرخ المسكين وأصابته حالة هستيرية.. ثم أغمي عليه ومكث في غيبوبة أياماً.. ثم شُفي وأدخل السجن وحكم عليه القاضي الشرعي بإقامة حد القتل عليه..



وصدق أبو بكر لما قال: **ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان..**

لا أنسى خبر ذلك الخليفة الذي جلس يوماً مع نديمه.. يضاحكه ويمازحه..

فلعب الشيطان برؤوسهما فشربا خمراً.. فلما غابت العقول.. وسيطرت أم الخبائث.. وصار الواحد منهما أضل من الحمار.. التفت الخليفة إلى حاجبه وأشار له إلى (النديم) وقال: **اقتلوه..**

وكان الخليفة إذا أمر أمراً لم يراجع فيه.. فانطلق الحاجب إلى (النديم) وتله برجليه.. وهو يصرخ.. ويستغيث بالخليفة.. والخليفة يضحك ويردد: **اقتلوه.. اقتلوه.. فقتلوه.. وألقوه في بئر مهجورة..**

فلما أصبح الخليفة.. اشتاق إلى من يؤانسّه..

◀ فقال: ادعوا لي نديمي فلان..

◀ قالوا: قتلناه!!

◀ قال: قتلتموه؟! من قتله؟! ولماذا؟ ومن أمركم؟! وجعل يدافع عبراته..

◀ فقالوا: أنت أمرتنا بالرحمة..

وأخبروه بالقصة.. فسكت.. وخفض رأسه متندماً..

◀ ثم قال: رب كلمة قالت لصاحبها دعني..

أعود وأقول: كم من شخص نَفَرَ الناس عن شخصه.. وبغضهم في نفسه..
وجرَّ إلى نفسه الويلات بسبب عدم ضبطه للسانه..

قال ابن الجوزي: ومن العجب أن من الناس من يقوى على التحرز من أكل
الحرام.. ومن الزنا.. والسرقة.. ولكنه لا يقوى على أن يتحرز من حركة لسانه..
فيتكلم في أعراض الناس.. ولا يقدر على منع نفسه من ذلك..

عجبة..



الحيوان لسانه طويل ولا ينطق..
والإنسان لسانه قصير ولا يصمت!!



المفتاح

المدح.. هو مفتاح القلوب.. نعم.. من أجمل مهارات الكلام أن تكون مبدعاً في تعويد نفسك على اكتشاف صواب الآخرين.. ومدحهم والثناء عليهم به.. قبل الانتباه إلى خطئهم.. ويتأكد ذلك عندما تريد أن تُنبّه شخصاً إلى خطيئ ما.. كثير من الناس يردّ النصيحة لا لأجل تكبره عنها.. أو عدم اقتناعه بخطئه.. وإنما لأن الناصح لم يسلك الطريق الصحيح لتقديم النصيحة..

هب أنك ذهبت إلى مستشفى حكومي لعلاج.. فلما أقبلت إلى موظف الاستقبال فإذا وراء الزجاج شاب مراهق يقلب جريدة بين يديه.. وبيده سيجارة.. غير مبالي بما حوله..

وإذا شيخ كبير أعمى يقف متعباً في يده اليمنى طفل صغير.. وفي الأخرى ورقة مراجعة ينتظر أن يحوِّله الموظف إلى الطبيب..

وإذا بجانبه عجوز كبيرة بيدها طفلة تبكي وقد تمكنت الحمى من جسدها.. وتنتظر أيضاً الموظف أن يفرغ من قراءة أخبار ناديه المفضل ليحوّلها لطبيب الأطفال..

لما رأيت هذا المنظر ثارت أعصابك- ولا تلومك على ذلك- فصرخت بالموظف:

هيه!! أنت جالس في مستشفى أو في... ما تخاف الله!! المرضي يئنون من الألم وأنت تقرأ جريدة!! لا.. وتدخن أيضاً!!

والله عجب.. مثلك ما يربيه إلا شكوى لمدير المستشفى.. أو المفروض أن تفصل من عملك..

وبدأت تقذف هذه العبارات كالبرق عليه.. هب أنه.. لم يرد عليك.. ولم يقابل صراخك بصراخ.. هب فعلاً أنه ألقى جريدته.. وأنهى تحويل المرضى إلى الأطباء..

هل تعتبر نفسك نجحت في حل المشكلة؟!

كلا..

أنت هنا عالجت الموقف لكنك لم تعالج المشكلة.. لأنه وإن استجاب لك الآن إلا أنه سيعود إلى تصرفه المشين غداً وبعد غد..

إذن كيف أتصرف؟!!



تعال إليه واكظم غيظك.. تعامل مع الموقف بعقل لا بعاطفة.. لا تدع المناظر المؤذية تؤثر في تصرفاتك.. ابتسم، وإن كنت مغضباً، وإن كانت الابتسامة صفراء لا مشكلة، ابتسم، وقُل:

◀ السلام عليكم..

سيردّ وهو ينظر إلى صورة لآعبه المفضل:

◀ عليكم السلام.. انتظر لحظة..

قُل أي كلمة تجعله يلتفت إليك.. كأن تقول:

◀ كيف الحال؟.. مساك الله بالخير..

سيرفع رأسه - حتماً - إليك ويقول:

◀ الحمد لله بخير..



في هذه المرحلة تكون قد قطعت نصف المشوار..

تلطف إليه بأي عبارة تمدحه بها.. قُل له مثلاً:



- ◀ تصدق! المفروض أن مثلك ما يعمل في استقبال مستشفى..
- ◀ سيتغير ويقول: لماذا؟
- ◀ قل: لأن هذا الوجه المنير إذا رآه المريض زال مرضه فلا يحتاج إلى طبيب..
- ◀ سيبتسم متعجباً من جرأتك -يا بطل-.. وتنبليج أساريه.. وقد صار الآن مهيباً لقبول النصيحة..
- ◀ ويقول: ماذا عندك؟
- ◀ عندها قل: يا أخي الحبيب ترى هذا الشيخ الكبير.. وهذه العجوز المسكينة.. لبيتك تنهي لهما إجراءات الدخول على الطبيب..
- ◀ سيتناول أوراقهما.. ويحولهما للطبيب.. ثم يتناول ورقتك.. فإذا انتهى منك وسلمك الورقة.. فقل له:
- ◀ سبحان الله.. هذه أول مرة أراك ومع ذلك فقد دخلت إلى قلبي.. لا أدري كيف!! والله إنك أحب إلي من آلاف الناس..
- ◀ وفعلاً أنت صادق فهو مسلم أحب إليك حتماً من ملايين الكفار.. سيفرح ويشكر لك لطفك..
- ◀ فقل: وعندي كلمات أود أن تسمعها لكني أخاف أن تغضبك..
- ◀ سيقول: لا.. لا.. تفضل..
- ◀ عندها قدم له النصيحة.. أنت قد من الله عليك بهذه الوظيفة.. وفي واجهة المستشفى.. وأنت قدوة لغيرك.. فليتك تتلطف قليلاً مع المراجعين.. وتهتم بهم.. لعل دعوة صالحة ترفع لك في ظلمة الليل من فم عجوز عابدة.. أو شيخ زاهد..
- ◀ أجزم أنه سيخفض رأسه وأنت تتكلم..
- ◀ ويردد: أشكرك.. جزاك الله خيراً..

وكذلك استعمل هذه الأساليب مع كل شخص تعالج سلوكه.. مثل شخص يتهاون بالصلاة.. أو أب يهمل بناته فيتكشفن.. ويتساهلن بالحجاب.. أو شاب عاق لوالديه.. لأجل أن يقبلوا منك لا بد أن تمارس المهارات المناسبة..

نعم.. استخدم العبارات اللطيفة في إصلاح خطأ الآخر.. كن مؤدباً.. محترماً لرأيه.. قل له: أنا ما أنصحك إلا لأني أعلم.. أنك تقبل النصيحة.. وفي التنزيل العزيز يقول الله: ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤَنَكُمُ صَدَقَةٌ﴾^(١)..

وقد كان المربي الحكيم ﷺ يستعمل طرقاً ومهارات تجعل من يُعَدِّل سلوكهم لا يملكون إلا أن يقبلوا منه..

أراد ﷺ يوماً أن يعلم (معاذ بن جبل) ذكراً يقوله بعد الصلاة.. فأقبل إلى (معاذ) وقال: يا (معاذ).. والله إني أحبك.. فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك..

بالله عليك.. ما علاقة المقطع الأول من الكلام «والله إني أحبك» بالمقطع الثاني «لا تدعن أن تقول اللهم أعني على ذكرك»؟!

قد يكون الأنسب لقوله إني أحبك أن يقول بعدها وأريد أن أزوجك ابنتي- مثلاً- أو أعطيك مالاً.. أو أدعوك إلى طعام.. ولكن أن يتبع خبر المحبة تعليمه ذكراً من أذكار الصلاة.. فهذا يحتاج إلى تأمل..

أتدري ما موقع قوله: «والله إني أحبك»؟ إنه التهيئة لقبول النصيحة.. بمشاعر صادقة.. فإذا ارتاحت نفس (معاذ) واستبشر، أعطاه النصيحة..

وفي موقف آخر.. قبض ﷺ يد (عبدالله بن مسعود) بيده اليمنى، ثم وضع يده اليسرى فوقها، كنوع من العطف والتهيئة، ثم قال: يا (عبدالله).. إذا جلست في التشهد فقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته..

حفظها (عبدالله) ووعاها.. ومضت السنين ومات رسول الله ﷺ.. فكان (عبدالله) يفتخر بذلك ويقول: علمني رسول الله ﷺ التشهد وكفي بين كفيه..

وفي يوم آخر لاحظ ﷺ أن (عمر) رضي الله عنه إذا طاف بالكعبة وحاذى الحجر الأسود.. زاحم الناس وقبله.. وكان صلباً قوي البدن.. وربما زاحم الضعفاء.. فأراد ﷺ أن يقدم له نصيحة.. فقال - على سبيل التهيئة لقبول النصيحة: يا (عمر) إنك رجل قوي.. فرح (عمر) بهذا الثناء.. فقال ﷺ: فلا تزاحمن عند الحجر..

ومرة أراد أن ينصح ابن (عمر) بقيام الليل.. فقال: نغم الرجل (عبدالله) لو كان يقوم الليل.. وفي رواية قال: يا (عبدالله) لا تكن مثل فلان.. كان يقوم الليل.. فترك قيام الليل..

نعم كان ﷺ يستعمل هذا الأسلوب الرائع مع جميع الناس.. ومع الوجهاء خاصة..

في بداية بعثة النبي ﷺ.. كان الناس ما بين مقبل ومدبر.. وكان رجل في المدينة اسمه (سويد بن الصامت) وكان رجلاً شريفاً في قومه.. عاقلاً شاعراً.. يحفظ كلام الحكماء.. حتى قيل إنه كان يحفظ كل ما روي عن (لقمان الحكيم).. حتى بلغ من إعجاب الناس به أنهم كانوا يسمونه: الكامل.. لجلده وشعره.. وشرفه ونسبه.. وهو الذي يقول:

ألا رب من تدعو صديقاً ولو ترى	مقاتله بالغيب ساءك ما يري
مقاتله كالشهد ما كان شاهداً	وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك بادية وتحت أديمه	غيمة غش تبترى عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم	من الغل والبغضاء بالنظر الشزر

قدم (سويد بن الصامت) يوماً إلى (مكة) حاجاً.. أو معتمراً.. فتحدث الناس بدخوله (مكة).. وأقبلوا لرؤيته.. فسمع النبي ﷺ به فأقبل عليه.. فدعاه إلى الله.. وإلى الإسلام.. وجعل يحدثه بالتوحيد والرسالة وأنه نبي يوحى إليه قرآن.. وأن هذا القرآن هو كلام الله تعالى.. فيه عبر وأحكام..

◀ فقال له (سويد): فلعل الذي معك مثل الذي معي؟!

◀ فقال له رسول الله ﷺ: ما الذي معك؟!

◀ قال: معي مجلة (لقمان) - يعني حكمة (لقمان) -..

فلم يُعَنِّفه ﷺ أو يُحَقِّره.. - مع أنه يُضاهي كلام الله بكلام البشر.. وإنما تُلطف معه..

◀ وقال ﷺ: اعرضها عليّ..

فشرع (سويد) يقرأ ما يحفظ من كلام (لقمان) وحِكَمِهِ.. ورسول الله ﷺ يستمع إليه بكل هدوء.. فلما انتهى (سويد)..

◀ قال ﷺ له: إن هذا الكلام حسن..

ثم قال- مشوقاً لسويد-: والذي معي أفضل من هذا.. قرآن أنزله الله تعالى عليّ.. هو هدى ونور..

ثم تلا عليه رسول الله ﷺ القرآن.. ودعاه إلى الإسلام.. و(سويد) يستمع منصتاً.. فلما فرغ ﷺ من كلامه.. ظهر على (سويد) التأثير..

◀ وقال: إن هذا لقول حسن..

ثم انصرف (سويد) عن النبي ﷺ.. ولا يزال متأثراً بما سمع.. فقدم المدينة على قومه.. فلم يلبث أن وقع قتال بين قبيلتي (الأوس) و(الخزرج).. وكان من قبيلة (الأوس) فقتلته (الخزرج).. وذلك قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة.. ولا يُدْرَى هل أسلم أم لا؟ وإن كان رجالٌ من قومه ليقولون: **إنا لنراه قد قتل وهو مسلم..**
فتأمل في تعامله ﷺ معه.. وكيف ملكه بأخلاقه ولم يعنّف عليه..

باختصار..

أسرف في المدح..
واقصد في النقد..



الرصيد العاطفي

تصورات الناس عنا نحن الذين نصنعها.. فلو لقيك شخصاً في السوق فعبس في وجهك.. ثم لقيك في بقالة.. فعبس في وجهك أيضاً.. ثم صادفته في عرس.. فليقك عابساً! لرسمت عنه صورة قاتمة في مخيلتك.. فإذا رأيت صورته أو سمعت اسمه في مكان تبادر إلى ذهنك ذاك الوجه العابس.. أليس كذلك؟

ولو لقيك شخص بابتسامة في موقف.. ثم ابتسم في لقاء آخر.. وثالث.. لانطبع في ذهنك عنه صورة مشرقة..

هذا فيمن لا يكون بينك وبينه علاقة دائمة وإنما هي لقاءات عابرة.. أما الأشخاص الذين نلقاهم دائماً كزوجة وأولاد.. وزملاء في مكتب.. وجيران في حارة.. فإن تعاملنا معهم لن يكون بأسلوب واحد دائماً.. نعم.. هم سيروننا ضاحكين لطيفين.. لكنهم حتماً سيروننا تارة غاضبين.. وتارة عابسين.. أو مخاصمين.. أو شائمين.. لأننا بشر.. وبالتالي فإن محبتهم لنا تتحدد على حسب طغيان حسناقتنا عندهم أو سيئاتنا.. أو قل: تتحدد محبتهم لنا بحسب مقدار الرصيد العاطفي الذي في حسابنا عندهم.. **كيف؟!**

عندما يقع لك موقف جميل مع إنسان فإنك تضيف إلى سجل ذكرياته ذكرى جميلة عنك.. أو بعبارة أخرى تفتح لك في قلبه حساباً تودع فيه محبة لك واحتراماً.. ثم تتولى بعد ذلك زيادة رصيدك العاطفي أو السحب منه.. فكل ابتسامة تقابله بها.. تزيد من رصيدك العاطفي عنده.. وكل هدية.. تزيد رصيدك العاطفي.. وكل مجاملة.. تزيد رصيدك العاطفي..

وكل إهانة تقع منك له.. أو مسبة.. أو شتم.. فإنك تسحب من رصيدك العاطفي.. وبالتالي إذا كان رصيدك العاطفي عنده كثيراً.. ووقعت يوماً ما

في موقف أغاظه فسحبت من رصيدك العاطفي مقداراً معيناً.. فإن هذا لن يؤثر كثيراً لأن رصيدك العاطفي عنده كثير..

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيح

أما إن لم يكن عنده لك رصيد عاطفي وجعلت تسحب من الرصيد وليس فيه شيء أصلاً.. فإن حسابك عنده سيكون بالناقص!! وبالتالي قد يقع في قلبه لك كره.. أو استئثار.. لأنك تسحب من رصيدك العاطفي ولا تودع..



ألم تسمع يوماً عن زوجة طلقها زوجها.. فإذا سئلت عن سبب الطلاق قالت: السبب تافه.. طلب مني الذهاب معه لزيارة أخته فرفضت.. فغضب وجعل يسبني ويشتمني ثم طلقني!!

ولو تأملت بذلكاء في سبب الطلاق.. لما وجدت السبب هو هذا الموقف التافه.. وإنما هذا الموقف هو القشة التي قصمت ظهر البعير!!

فقد ذكر أن رجلاً كان له جمل جلد قوي.. فأراد سفراً.. فجعل يحمل متاعه عليه.. ويربطه على ظهره.. والجمل متماسك.. حتى كَوَّم على ظهره ما يحمله أربعة جمال.. فبدأ البعير يهتز من ثقل الحمل والناس يصيحون بالرجل: يكفي ما حملت عليه.. فأخذ حزمة من تبن وقال: هذه خفيفة وهي آخر المتاع.. فلما طرحها على ظهره سقط البعير على الأرض..

فصارت قصته مثلاً.. وقيل: قشة قصمت ظهر بعير!!

ولو تفكرت لرأيت أن القشة مظلومة فليست هي التي قصمت ظهر البعير وإنما انقصم ظهر البعير بسبب تراكمات كبار صبر البعير على أولها.. وصبر.. وصبر.. حتى لم يطق صبراً.. فانقصم ظهره بشيء صغير..

وهكذا المرأة التي طلقها زوجها.. أجزم أن السبب ليس هو تركها زيارة أخته فحسب.. وإنما تراكمات قبله.. من: عصيان لطلباته.. عدم تحقيق لرغباته..

عدم تحببها إليه.. تكبرها عليه.. عدم احترام رأيه.. فهي تسحب دوماً من رصيدها العاطفي عنده دون أن تودع فيه شيئاً.. وتجرح ولا تداوي.. وهو يحتمل ويحتمل.. حتى جاء هذا الموقف فقصم ظهر البعير..

ولو أنها اعتنت بكثرة الإيداع في رصيدها العاطفي.. من: حسن لقاء له.. وتغنج ودلال.. وتحبب إليه.. وممازحة وخفة ظل.. وعناية بطعامه ولباسه.. واحترام لرأيه.. لصار رصيدها العاطفي كبيراً.. وملكت مليارات حب في قلبه.. وبالتالي لن يضر لو وقع موقف سحبته به من رصيدها العاطفي.. لأن سيئتها ستغوص في بحر حسناتها..

وقُلْ مثل ذلك في الطالب المشاكس الذي يقع منه موقف صغير فيغضب المدرس غضباً شديداً.. وقد يضربه ويطرده من الفصل.. و... ثم يقول الطالب - مشتكياً: زميلي فلان يقع في أخطاء أكثر مني.. ولا يعاتبونه.. أما أنا فما فعلت شيئاً هي مجرد نكتة أطلقتها من غير استئذان.. ولا ينتبه إلى أن هذه النكتة هي القشة التي قصمت ظهر البعير.. لأنه يجرح ولا يداوي..

قُلْ مثله في زملاء تخاصموا.. أو جيران تنازعوا..

إذن.. نحن نحتاج دائماً إلى أن نودع في قلب كل واحد نلقاه رصيдаً عاطفياً.. الزوج يتحين الفرص ليودع في قلب زوجته.. ويسجل نقاطاً أكثر وأكثر.. والزوجة تحتاج أيضاً.. والولد يحتاج أن يودع في قلب والده.. والمدرس مع طلابه.. والأخ مع أخيه.. بل حتى المدير مع من هم تحت إدارته.. يحتاج إلى ذلك..

باختصار..

وإذا الحبيب أتى بذنوب واحد
جاءت معاصمه بألف شنيع

الساحر



الكلام ببلاش.. يا أخي سَمَّعنا كلمة حلوة.. هكذا بدأت المسكينة تعاتب زوجها.. صحيح هو ما قصر معها في طعام ولا لباس.. ولكنه لم يكن يسحرها بمعسول الكلام..!!

ويجمع العقلاء أن أهم صفات البائع الماهر أن يكون ساحراً في كلامه.. فيردد: من عيوني.. تفضل.. خل الحساب علينا.. تعبك راحة.. وتزيد قيمة البائع كلما زادت عباراته جمالاً.. فإن أضاف إلى حسن العبارة جودة في وصف السلعة.. وقدرة على إقناع الزبون بالشراء.. صار قد اكتسب نوراً على نور..

ويجمع المجربون أن: من أهم صفات السكرتير أن يكون لسانه عذباً.. وعباراته حلوة.. فيطرب الأسماع بقوله: سَمِّ.. أبشر.. نحن (خدّامينك)..

وربما شغفت زوجة بزوجها حباً.. وهو كثير البخل قليل الجمال.. لكنه يسحرها بعباراته..

أذكر أن شاباً مراهقاً كان مغرماً بمغازلة الفتيات.. وكان له قدرة عجيبة على الإيقاع بهن.. وكم من مسكينة صارت متيمة بحبه.. عالقة بشراكه.. ومن العجب أنه لم يكن يملك سيارة فاخرة يغريهن بركوبها.. ولم تكن جيبه مليئة بالمال ليغدق عليهن الهدايا.. ولا تظنن أنه أوتي وسامة أو جمالاً.. كلا.. فإني أسأل الله لك أن لا تُبتلى بالنظر إلى وجهه!! لكن فكّيه كانا يحتضنان لساناً.. لو كلّم به حجراً لغلقه.. أو شجراً لحلقه.. ولو غمسه في نهر لدفّقه.. أو واسبى به عاشقاً لصعقه.. فكان يصطاد الفتيات بلسانه اصطيداً.. بل يسحرهن سحراً..

لم يحن قتل المسلم المتحرز
وذا المحدث أنها لم توجز

وحديثها السحر الحلال لو أنه
إن طال لم يملد وإن هي أوجزت

وَمَنْ نَظَرَ فِي السَّيْرَةِ وَالتَّارِيخِ رَأَى عَجَباً..

أَقْبَلَ يَوْماً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةً رِجَالٍ سَادَةٍ فِي قَوْمِهِمْ.. (قيس بن عاصم)..
وَالزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ.. وَ(عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ).. وَكُلُّهُمْ مِنْ قَبِيلَةِ تَمِيمٍ.. بَدَّوْا
يَتَفَاخَرُونَ..

◀ فَقَالَ (الزَّبْرَقَانُ): يَا رَسُولَ اللَّهِ.. أَنَا سَيِّدُ تَمِيمٍ.. وَالْمَطَّاعُ فِيهِمْ.. وَالْمَجَابُ فِيهِمْ..
أَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ.. وَأَخَذَ لَهُمْ بِحَقُوقِهِمْ..

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى السَّيِّدِ الْآخِرِ (عَمْرُو بْنِ الْأَهْتَمِ).. وَقَالَ: وَهَذَا يَعْلَمُ ذَلِكَ..

◀ فَأَثْنَى (عَمْرُو) عَلَيْهِ قَائِلاً: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ.. إِنَّهُ لَشَدِيدُ الْعَارِضَةِ.. مَانِعُ
لِجَانِبِهِ.. مَطَّاعٌ فِي نَادِيهِ..

ثُمَّ سَكَتَ (عَمْرُو).. وَلَمْ يَبَالِغْ فِي الثَّنَاءِ.. كَانَ (الزَّبْرَقَانُ) يَنْتَظِرُ ثَنَاءً طَوِيلاً..
لَكِنْ (عَمْرُو) اخْتَصَرَ.. فَغَضِبَ (الزَّبْرَقَانُ).. وَوَدَّ لَوْ أَنَّ (عَمْرُو) زَادَ فِي الثَّنَاءِ..
وَوَظَنَ أَنَّهُ حَسَدُهُ عَلَى سَيَادَتِهِ..

◀ فَقَالَ (الزَّبْرَقَانُ): وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ.. لَقَدْ عَلِمَ مَا قَالَ.. وَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ
إِلَّا الْحَسَدَ..

◀ فَغَضِبَ (عَمْرُو).. وَقَالَ: أَنَا أَحْسَدُكُمْ!! فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَيْمٌ الْخَالُ.. حَدِيثُ الْمَالِ..
أَحْمَقُ الْمَوَالِدِ.. مُضَيِّعٌ فِي الْعَشِيرَةِ..

وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ أَوَّلًا.. وَمَا كَذَبْتَ فِيمَا قُلْتَ آخِرًا..
لَكِنِّي رَجُلٌ رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ.. وَغَضِبْتُ فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا وَجَدْتُ..
وَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَ فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا..

فَعَجَبَ ﷺ مِنْ سُرْعَةِ حُجَّتِهِ.. وَقُوَّةِ بَيَانِهِ.. وَمَهَارَاتِ لِسَانِهِ..

◀ فَقَالَ: **إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا.. إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا..^(١)**

(١) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَفِيهِ مَقَالٌ وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ



فكن مبدعاً في مهارات لسانك.. فلو:

قال لك: **ناولني القلم.. قل: من عيوني.. تفضل..**

ولو قال: **لكن يا فلان عندي طلب.. فقل: اطلب عيوني.. سَمَ..**

قال: **أريد منك خدمة: قل: تفضل.. خدمنا أناساً ما يساوون أثر رجلك..**

مارس هذا الأسلوب الذي يدغدغ المشاعر.. مع أمك.. نعم أسمعها كلمات رقيقة لينت.. مع أبيك.. زوجتك.. أولادك.. زملائك.. فهذا الأسلوب لا يخسرك شيئاً.. وتسحر به الآخرين، وتزيل ما في نفوسهم..

وانظر إلى حال الأنصار ﷺ بعد معركة (حنين).. الأنصار الذين قاتلوا مع النبي ﷺ في (بدر) ثم قُتلوا في أحد.. وحُصروا في الخندق.. ولا زالوا معه يقاتلون ويُقتلون.. حتى فتحوا معه (مكة).. ثم مضوا إلى معركة حنين..

ففي الصحيحين: أن القتال اشتد أول معركة حنين.. وانكشف الناس وتفرّق الجيش عن رسول الله! وكان جيش الطائفة قوياً.. فإذا الهزيمة تلوح أمام المسلمين..

فالتفت ﷺ إلى أصحابه.. فإذا هم يفرون من بين يديه!! فصاح بالأنصار: **يامعشر الأنصار.. فقالوا: لبيك يا رسول الله..**



وعادوا إليه.. وصفوا بين يديه.. ولا زالوا يدفعون العدو بسيوفهم.. ويفدون رسول الله ﷺ بنحورهم.. حتى فرّ الكفار وانتصر المسلمون..

وبعدما انتهت المعركة.. وجمعت الغنائم

بين يدي النبي ﷺ.. أخذوا ينظرون إليها.. وكل واحد منهم يتذكر أولاده الجوعى.. وأهلهم الفقراء.. ويرجو أن يناله من هذه الغنائم شيء يوسع به عليهم..

فبينما هم على ذلك.. فإذا برسول الله ﷺ.. يدعو (الأقرع بن حابس)، وكان حديث عهد بالإسلام، فهو ما أسلم إلا قبل أيام في فتح مكة.. فيعطيه مائة من الإبل.. ثم يدعو (أبا سفيان) ويعطيه مائة من الإبل.. ولا يزال يقسم النعم.. بين أقوام من أهل مكة.. ما بذلوا بذل الأنصار.. ولا جاهدوا جهادهم.. ولا ضحوا تضحياتهم..

فلما رأى الأنصار ذلك.. قال بعضهم لبعض: يغفر الله لرسول الله.. يعطي قريشاً ويتركنا.. وسيوفنا تقطر من دمائهم!!

فلما رأى سيدهم (سعد بن عباد) ﷺ ذلك.. دخل على رسول الله ﷺ..

◀ فقال: يا رسول.. إن أصحابك من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم..

◀ فعجب ﷺ وقال: وما ذلك؟!!

◀ قال: لما صنعت في هذه الفية الذي أصبت.. قسمت في قومك (يعني أهل مكة).. وأعطيت عطايأ عظاماً.. في قبائل العرب.. ولم يكن في الأنصار منه شيء..

◀ فقال ﷺ: فأين أنت من ذلك يا سعد؟

◀ قال: يا رسول الله.. ما أنا إلا امرؤ من قومي..

شعر النبي ﷺ أن الأمر يحتاج إلى علاج يدخل القلوب لا الجيوب..

◀ فقال: فاجمع لي قومك..

فلما اجتمعوا.. أتاهم رسول الله.. فحمد الله وأثنى عليه..

◀ ثم قال: يا معشر الأنصار.. مقالة بلغتني عنكم؟

◀ قالوا: أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً وأما ناس منا حديثه أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريش ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم!!

◀ فقال ﷺ: يا معشر الأنصار.. ألم تكونوا ضالاً فهداكم الله بي..

◀ قالوا: بلى والله ورسوله.. المنّة والفضل..

◀ قال: ألم تكونوا عالة فأغناكم الله.. وأعداء فألف بين قلوبكم..

◀ قالوا: بلى والله ورسوله.. المنّة والفضل..

ثم سكت رسول الله ﷺ.. وسكتوا.. وانتظر.. وانتظروا..

◀ فقال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار..

◀ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله.. والله ولسوله المنّة والفضل..

◀ قال: أما والله لو شئتم لقلتم.. فلصدّقتهم ولصدّقتهم.. لو شئتم لقلتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك.. ومخذولاً فنصرناك.. وطريداً فأويناك.. وعائلاً فواسيناك..

ثم بدأ ﷺ يهز المشاعر.. ويحرك القلوب.. فقال:

يا معشر الأنصار.. أوجدتم على رسول الله في أنفسكم.. في لغة من الدنيا.. تألفت بها قوماً ليسلموا.. ووكلتم إلى إسلامكم.. إن قريشاً حديثو عهد بجاهليّة ومصيبة (يعني ما أصاب قريشاً من قتل وحرب في فتح مكة).. وإنّي أردت أن أجبرهم.. وتألفهم..

ألا ترضون يا معشر الأنصار.. أن يذهب الناس بالشاة والبعير.. وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟! لو سلك الناس وادياً أو شغباً.. وسلكت الأنصار وادياً أو شغباً.. لسلكت وادي الأنصار.. أو شعب الأنصار.. فوالذي نفس محمد بيده.. إنه لو لا الهجرة.. لكنت امرأة من الأنصار.. اللهم ارحم الأنصار.. وأبناء الأنصار.. وأبناء أبناء الأنصار..

◀ فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم.. وقالوا: رضيينا برسول الله قسماً وحظاً..

ثم انصرف رسول الله وتفرقوا.. فيا الله العجب ما أروع نبينا ﷺ!!

بل إنك بالعبارات الجميلة تستطيع أن تخدّر الناس أحياناً..



ذكر أنه كان في صعيد مصر رجل غني متسلط
اشتهر باسم: (الباشا) كان يملك فدادين من المزارع..
كان متغطرساً يمارس أصناف الإذلال على المزارعين
الصغار..

دار الزمان دورته فأصاب أرضه ما أتلّفها.. فأصبح
فقيراً بعد غنى.. كسيراً..

جاع أولاده وهو ليس عنده مصدر يتكسب منه.. ولا يعرف صنعة غير
الزراعة.. لكن أرضه تالفت.. فخرج يبحث عن عمل.. أي عمل..

أقبل على مزرعة لأحد الفلاحين الضعفاء الذين ذاقوا من إذلاله قديماً..
دخل عليه.. وقال بكل مدلّة:

◀ هل أجد عندك عملاً.. أقطف الثمر.. أو أنقي الحبوب.. أو أقلمم الأشجار.. أو...

◀ فثار المزارع في وجهه وقال: أنت تعمل عندي!! أنت المتكبر المتغطرس.. الحمد
لله أن استجاب دعاءنا عليك وأذلّك..

ثم طرده من بستانه. مضى يجرّ قدمي خيبته.. حتى دخل بستاناً آخر.. فإذا
بفلاح له معه ذكريات أليمة.. فطرده كما طرده الأول..

مضى الباشا (!!) المسكين لا يلوي على شيء.. ولا يريد أن يرجع إلى أولاده
خالياً.. مرّ على مزرعة لفلاح ثالث.. فدخل ليحرب حظه معه.. رآه الفلاح
فانبهر.. وقد ذاق أيضاً من إذلاله من قبل..

◀ قال الباشا: أنا أبحث عن عمل.. أولادي جوعى..

فأراد الفلاح أن يذله.. وأن ينتقم منه بأسلوب ذكي..



◀ فقال له: أهلاً أيها الباشا!! نورت بستانى!!
من مثلى اليوم! الباشا الكبير يدخل
أرضى!! أنت الباشا الكبير.. أنت الباشا
الوجيه!! أنت...

وجعل يخدره بهذه العبارات حتى صار
الباشا منوماً تنويماً مغناطيسياً!!

ثم قال الفلاح: مرحباً وأهلاً.. عندي عمل.. لكنى لا أدري هل يناسبك أم لا؟

◀ قال الباشا: وما هو؟

◀ قال: اليوم سوف أحرق الأرض.. وعندي محراث يجره ثوران.. ثور أبيض
وثور أسود.. والثور الأسود مريض ولا يستطيع أن يعمل.. والثور الأبيض
لا يطيق جر الحراثة وحده.. فأريدك أن تقوم اليوم بوظيفة الثور الأسود..
فأنت قوي أيها الباشا.. أنت قائد.. أنت رئيس.. تسير في الأمام دائماً..



توجه الباشا بكل كبرياء إلى الحراثة..
ووقف بجانب الثور الأبيض..

أقبل المزارع إليه وبدأ بالثور الأبيض وربطه
بالحبال ليجر المحراث.. ثم توجه إلى الباشا
وهو يردد قائلاً: يا أحسن باشا في العالم..
ياقوي.. يا بطل.. والباشا يتلفت في زهو..

ثم ربط الحبال في كتفي الباشا.. وركب هو على الحراثة معه السوط!!
وصاح: امش.. وضرب ظهر الثور فتحرك.. وتحرك الباشا يجر المحراث..
والفلاح يردد: جميل يا باشا.. ممتاز يا ملك.. ويضرب ظهر الثور.. ويصيح:
أقوى يا باشا.. أحسن يا باشا!!

والباشا المسكين لم يتعود على ذلك.. لكنه كان يجر بكل قوته.. من الصباح
حتى غابت الشمس.. وكأنه غائب العقل..

فلما انتهى.. فكّ الفلاح عنه الحبال.. وهو يقول: والله شغلك جميل يا باشا..
هذا أحسن يوم مر عليّ يا باشا..

ثم ناوله بضعة جنيهاً.. ومضى الباشا إلى بيته..

دخل على أولاده.. وقد تقرحت كتفاه.. وسالت الدماء من أسفل قدميه..
والعرق يغرق ثيابه.. و.. لكنه لا يزال منتشياً مخدراً..

◀ سألته أولاده: هاه.. هل وجدت عملاً؟

◀ فقال- بكل فخر:- نعم.. أنا الباشا.. كيف لا أجد عملاً؟

◀ فقالوا: فماذا اشتغلت؟

◀ فقال: اشتغلت.. هاه!! اشتغلت!!

وبدأ يصحو من تخديره.. ويدرك ما أصابه.. سكت قليلاً ثم قال:

اشتغلت ثوراً!!!



فليسعد النطق إن لم تسعد الحال!!



من أصعب اللحظات أن يقصدك صاحب حاجة.. ثم يرجع خائباً غير مقضية حاجته.. نعم قضاء حاجات الناس طاعة عظيمة.. ولو لم يكن فيها إلا قوله ﷺ: **لئن أمشي مع أخي في حاجة حتى أثبتها له، أحب إليّ من أن أعتكف في مسجدي هذا شهراً^(١) لكفى في فضلها..**

لكن بعض الحاجات يصعب قضاؤها.. فليس كل من طلب منك أن تسلفه مالاً قدرت على إعطائه.. ولا كل من طلب منك مرافقته في سفر قدرت على تلبية طلبه.. ولا كل من طلب حاجة معك كقلم أو ساعة أو غيرها.. استطعت إعطاءها له.. والمشكلة أن أكثر الناس إذا لم تلّب حاجاتهم وجدوا عليك في أنفسهم.. وقد يذمونك في المجالس.. ويتهمونك تارة بالبخل.. وتارة بالأنانية.. وتارة...

إذن ما العمل؟!

كن ماهراً في الخروج من الموقف.. فإذا طلب منك أحد شيئاً ولم تستطع قضاءه فعلى الأقل رده بعبارات جميلة.. كما قال:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

فلو علم شخص بأنك ستسافر إلى مدينة معينة.. فجاءك وقال: أريدك أن تشتري لي حاجة من المدينة التي أنت مسافر إليها.. وأنت لا رغبة لك في قضاء حاجته لأي سبب.. **فكيف تجيب؟**

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال..

(١) رواه الطبراني وهو حسن.

قُلْ له: والله يا فلان أتمنى أن أخدمك بعيونني.. وأنت أحب إليَّ من أناس كثير.. لكنني أخشى أن يضيق وقتي.. وعندي بعض الظروف تمنعني من إحضارها.. و...

ولو دعاك إلى وليمة وأردت أن تعتذر وخشيت أن يجد في نفسه عليك.. فقدم مقدمات.. قُلْ- مثلاً- أنا ما أعتبرك إلا كواحد من إخواني.. وأنت من أغلى الناس إلى قلبي.. لكنني مشغول الليلة..

وأنت لم تكذب فقد يكون شغلك هذا جلسة مع أولادك.. أو قراءة في كتاب.. أو نوم!! فهي كلها أشغال..

وقد كان نبينا وقرة أعيننا محمد ﷺ يملك الناس بأخلاق يأسر بها قلوبهم.. انظر إليه عليه السلام.. وقد جلس مع أصحابه الكرام.. فحدثهم عن البيت الحرام.. وفضل العمرة والإحرام..

فطارت أفئدتهم شوقاً إلى ذاك المقام.. فأمرهم بالتجهز للرحيل إليه.. وحثهم على التسابق عليه.. فما لبثوا أن تجهزوا.. وحملوا سلاحهم وتحرزوا..

فخرج ﷺ مع ألف وأربعمائة من أصحابه.. مهللين بالعمرة ملبين.. يتسابقون إلى البلد الأمين.. فلما اقتربوا من جبال مكة.. بركت القصواء-ناقة النبي ﷺ-.. فحاول أن يبعثها لتسير.. فأبت عليه..

◀ فقال الناس: خلأت القصواء..(أي عصت)..

◀ فقال ﷺ: ما خلأت القصواء.. وما ذلك لها بخلق.. ولكن حبسها حابس الفيل (يعني فيل أبرهة لما أقبل به مع جيش من اليمن يريد هدم الكعبة فحبسهم الله عن ذلك)..

ثم قال ﷺ: والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطَّةَ يعظمون فيها حرمت الله.. إلا أعطيتهم إياها..



ثم زجر ناقته فوثبت.. فتوجه إلى
مكة.. حتى نزل بالحديبية قريباً من
مكة.. فتسامع به كفار قريش.. فخرج
إليه كبارهم ليردوه عن مكة.. فأبى
إلا أن يدخلها معتمراً..

فما زالت البعوث بينه وبين قريش
تتوالى.. حتى أقبل عليه (سهيل بن عمرو).. فصالح النبي ﷺ على أن يعودوا إلى
المدينة.. ويعتصروا في العام القادم..

ثم كتبوا بينهم صلحاً عاماً.. وفيه:



اشترط (سهيل).. أنه لا يخرج من (مكة)
مسلم مستضعف يريد المدينة.. إلا رُدَّ إلى
(مكة).. أما من خرج من (المدينة) وجاء إلى
(مكة) مرتداً إلى الكفر.. فيُقبل في مكة!!

فقال المسلمون: سبحان الله!! من جاءنا
مسليماً نرده إلى الكافرين!! كيف نرده إلى
المشركين وقد جاء مسلماً؟!

فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم.. شاب يسير على الرمضاء.. يرفل في قيوده..
وهو يصيح: يا رسول الله..

فنظروا إليه.. فإذا هو (أبو جندل) ولد (سهيل بن عمرو).. وكان قد أسلم فعذبه
أبوه وحبسه.. فلما سمع بالمسلمين.. تفلّت من الحبس وأقبل يجر قيوده.. تسيل
جراحه دماً.. وتفيض عيونه دمعاً.. ثم رمى بجسده المتهالك بين يدي النبي ﷺ..
والمسلمون ينظرون إليه..

فلما رآه (سهيل).. غضب!! كيف تفلّت هذا الفتى من حبسه! ثم صاح بأعلى صوته:

◀ هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ..

◀ فقال ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد..

◀ قال سهيل: فوالله إذن لا أصالحك على شيء أبداً..

◀ فقال ﷺ: فأجزه لي..

◀ قال: ما أنا بمجيزه لك..

◀ قال ﷺ: بلى فافعل..

◀ قال: ما أنا بفاعل..

فسكت النبي ﷺ.. فقد كان أبى هو وأمى حريضاً على تقريب قریش إلى الإسلام قدر المستطاع.. ولم يشأ أن يجعل مشكلة مسلم واحد تعطل صلحاً كاملاً..

وقام (سهيل) سريعاً إلى ولده يجره بقيوده.. و(أبو جندل) يصيح ويستغيث بالمسلمين.. يقول: أي معشر المسلمين أُرَد إلى المشركين وقد جئت مسلماً.. ألا ترون ما قد لقيت من العذاب..

ولا زال يستغيث بهم حتى غاب عنهم.. والمسلمون تذوب أفئدتهم حزناً عليه..



فتى في ريعان الشباب.. يُشدد عليه العذاب.. وينقل من العيش الرغيد.. إلى البلاء الشديد.. وهو ابن سيد من السادات.. طالما تنعم بالملذات.. وتلذذ بالشهوات.. ثم يجر أمام المسلمين بقيوده.. ليعاد إلى سجنه وحديده.. وهم لا يملكون له شيئاً..

مضى (أبو جندل) إلى (مكة) وحيداً.. يسأل ربه الثبات على الدين.. والعصمة واليقين.. أما المسلمون فقد رجعوا مع رسول الله ﷺ إلى (المدينة).. وهم في حق شديد على الكافرين.. وحزن على المسلمين المستضعفين..

ثم اشتد العذاب على الضعفاء في (مكة).. حتى لم يطيقوا له احتمالاً.. فبدأ (أبو جندل).. وصاحبه (أبو بصير).. والمستضعفون في (مكة).. يحاولون التفلت من قيودهم.. حتى استطاع (أبو بصير) ﷺ أن يهرب من حبسه.. فمضى من ساعته إلى (المدينة).. يحمله الشوق.. ويحدوه الأمل.. في صحبة النبي ﷺ وأصحابه..

مضى يطوي قفار الصحراء.. تحترق قدماه على الرضاء.. حتى وصل (المدينة).. فتوجه إلى مسجدها.. فبينما النبي ﷺ في المسجد مع أصحابه.. إذ دخل عليهم (أبو بصير).. عليه أثر العذاب.. ووعناء السفر.. وهو أشعث أغبر.. فما كاد يلتقط أنفاسه.. حتى أقبل رجالان من كفار قريش فدخلوا المسجد..

فلما رآهما (أبو بصير).. فزع واضطرب.. وعادت إليه صورة العذاب.. فإذا هما بصيحيان: **يا محمد.. رده إلينا.. العهد الذي جعلت لنا..**

فتذكر النبي ﷺ عهده لقريش أن يرد إليهم من يأتيه من (مكة).. فأشار إلى (أبي بصير).. أن يخرج من (المدينة).. فخرج معهما (أبو بصير)..

فلما جاؤا (المدينة).. نزلا لطعام.. وجلس أحدهما عند (أبي بصير).. وغاب الآخر ليقتضي حاجته.. فأخرج القاعد عند (أبي بصير) سيفه.. ثم أخذ يهزه.. ويقول مستهزئاً بأبي بصير:

◀ **لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل..**

◀ فقال له (أبو بصير): **والله إنني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً..**

◀ فقال: **أجل والله إنه لجيد لقد جربت به.. ثم جربت..**

◀ فقال أبو بصير: **أرني أنظر إليه..**

فناولته إياه! فما كاد السيف يستقر في يده.. حتى رفعه ثم هوى به على رقبة الرجل فأطار رأسه.. فلما رجع الآخر من حاجته.. رأى جسد صاحبه مُفَرَّقاً.. مجنّداً ممزقاً.. ففزع.. وفرّ حتى أتى (المدينة).. فدخل المسجد يعدو..

فلما رآه ﷺ مقبلاً.. فزعاً.. قال: **لقد رأى هذا ذعراً!**

فلما وقف بين يديه ﷺ صاح من شدة الفزع..

◀ قال: **قُتل والله صاحبي.. وإني لمقتول..**

فلم يلبث أن دخل عليهم (أبو بصير).. تلتع عيناه شرراً والسيف في يده يقطر دماً..

◀ فقال: يا نبي الله.. قد أوفى الله ذمتك.. قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم.. فضمني إليكم..

◀ قال ﷺ: **لا..**

◀ فصاح (أبو بصير) بأعلى صوته.. أو.. يا رسول الله.. أعطني رجلاً أفتح لك مكة..

فأعجب النبي ﷺ بشجاعته.. لكنه لا يستطيع أن ينفذ له طلبه فبينه وبين أهل (مكة) عهد.. لكنه ﷺ أراد أن يرده بلطف..

فليسعد النطق إن لم يسعد الحال..

التفت ﷺ إلى أصحابه وقال مادحاً لأبي بصير:

◀ **ويل أمه! مسعر حرب لو كان معه رجال..**

فكانت هذه الكلمات بمثابة التخفيف والاعتذار من (أبي بصير)..



وظل (أبو بصير) واقفاً عند باب المسجد ينتظر إذن النبي ﷺ له بالمكوث في (المدينة).. لكنه ﷺ تذكر عهده مع قريش فأمر (أبا بصير) بالخروج من (المدينة).. فسمع (أبو بصير) وأطاع..

نعم.. وما حمل في نفسه على الدين.. ولا انقلب عدواً للمسلمين.. فهو يرجو ما عند الحليم الكريم.. من الثواب العظيم.. الذي من أجله ترك أهله.. وفارق ولده.. وأتعب نفسه.. وعذب جسده..

خرج (أبو بصير) من (المدينة).. فاحتار أين يذهب.. ففي (مكة) عذاب وقيود.. وفي (المدينة) موثيق وعهود.. فمضى إلى سيف البحر على ساحل البحر الأحمر.. فنزل هناك.. في صحراء قاحلة.. لا أنيس فيها ولا جليس..

فتسامع به المسلمون المستضعفون بمكة.. فعلموا أنه باب فرج انفتح لهم.. فالمسلمون في (المدينة) لا يقبلونهم.. والكفار في (مكة) يعذبونهم.. فتفطت (أبو جندل) من قيوده.. فلحق بأبي بصير.. ثم جعل المسلمون يتوافدون إليه في مكانه.. حتى كثر عددهم.. واشتدت قوتهم.. فجعلت لا تمر بهم قافلة تجارة لقريش.. إلا اعترضوا لها..

فلما كثر ذلك على قريش.. أرسلوا إلى النبي ﷺ يناشدونه بالله أن يضمهم إليه.. فأرسل النبي ﷺ إليهم أن يأتوا المدينة.. فلما وصل إليهم الكتاب.. استبشروا وفرحوا.. لكن (أبا بصير) كان قد نزل به مرض الموت.. وهود يردد قائلاً: **ربي العلي الأكبر من ينصر الله فسوف يُنصرُ..**

فلما دخلوا عليه وأخبروه أن النبي ﷺ أذن لهم بسكنى المدينة.. وأن غربتهم انتهت.. وحاجتهم قضيت.. ونفوسهم أمنت.. استبشر أبو بصير.. ثم قال وهو يصارع الموت: **أروني كتاب رسول الله ﷺ.. فناولوه إياه.. فأخذه فقبله.. ثم جعله على صدره.. وقال: أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً رسول الله.. أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً رسول الله..**

ثم شهق ومات.. فرحم الله (أبا بصير).. وصلى على نبي الرحمة وسلم تسليماً كثيراً..

ومن الإسعاد بالنطق والسحر بالكلام.. أن تراعي من معك إذا جاملك..
وتتلفظ معه..

ذكر أن امرأة فقيرة اضطجعت بجانب زوجها على فراش عتيق.. في كوخ
قديم.. جدران مرقعة.. وسقف من جذوع النخل.. فجالت ببصرها تنظر إلى
جدران بيتها.. ثم ركزت بصرها إلى السقف.. وسرحت بفكرها بعيداً..

◀ ثم قالت: تدري ماذا أتمنى؟

◀ قال: هاه!! ماذا تتمنين؟

◀ قالت: أتمنى أن نملك بيتاً كبيراً تسعد فيه مع أولادك.. وتدعوا إليه
أصدقاءك.. ونملك سيارة فارهة.. ترتاح إذا سقتها.. يزيد راتبك ضعفين
حتى تسدد ديونك.. و...

ومضت المسكينة تسرد له بحماس أسباب السعادة التي تتمنها له.. والرجل
غارق في أحلام خيبته.. يائس من صلاح حاله.. لا يملك أية مهارة من
مهارات الكلام..

فلما تعبت قالت له: وأنت ماذا تتمنى؟

◀ فنظر إلى السقف طويلاً ثم قال: أتمنى أن ينطلق جذع من هذا السقف
ويقع على رأسك فيقسمه نصفين!!

حديث..

«سأله ﷺ: ما أكثر ما يدخل الناس النار؟

فقال: هذا وهذا..

يعني الفرج واللسان.

